

اختر بابك

عنوان الكتاب : اختر بابك

اسم المؤلف : رؤى فروج

تدقيق لغوي : منار الشريف

تصميم الغلاف : أميرة نور الدين

الطبعة الاولى 2025 / 2026

رقم الايداع : 2025/29372

الترقيم الدولي : 978-633-8339-26-6

القاهرة

مؤسسة القاهرة لليوم للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة ويمنع طبع أو تصوير أو تخزين أي جزء من الكتاب بأية وسيلة من وسائل تخزين المعلومات إلا بإذن كتابي من الناشر.

الإهداء

إلى من وقف بجانبني ولم يشكّ في قدراتي يوماً، إلى من كان يقول لي: "ستصلين إلى حلمك يوماً ما"، إلى معلمتي التي كانت أكبر عونٍ لي ولم تتركني في منتصف الطريق، إلى الحزن الدافئ الذي كان يضمّني عند يأسِي حتى يرسم الضحكة على وجهي من جديد وأكفّ عن البكاء.

شكراً لكم جميعاً من بعد الله، لولاكم ما وصلت. أقولها وكلي فخرٌ أنكم متواجدون معي، وأنكم جزءٌ من حياتي. لم أستسلم للصعاب ولم أُخَيّب ظنكم بي، ولم أسمح لأيّ عائقٍ بالوقوف في طريقي. حققت حلمي الذي سعيْتُ من أجله منذ الصغر، وها أنا ذي - بفضل جهودكم - كاتبةٌ يلمع اسمها في الأنحاء.

إلى ذلك الذي استهزأ بي ولم يثق بمقدرتي، إلى من سبني وضحك على حلمي، إلى من قال لي: "لا تسرحي في أحلامك كثيراً؛ فلن تصلي يوماً وأنتِ على هذه الحال"، إليك يا من جرحتني وزرعت الألم واليأس والإحباط في قلبي.

لن أقول سوى : شكراً لك جزيل الشكر؛ فلولاً كلماتك الجارحة - التي كنتَ تعتقد أنها ليست إلا كلماتٍ عابرةٍ نضحك عليها - لكنّك قد مللتُ في وسط الطريق واستسلمت. كنتُ أعود إلى كلماتك الجارحة تلك كلما داهمتني الأفكار التي تقول لي بأني لن أنجح، وأقول لنفسِي : " رؤى تستطيع فعل ذلك، أثبتني للجميع أنكِ تستطيعين - بفضل الله - مهما كانت الظروف "

نعم... استطعتُ فعل ذلك، لم أستسلم فملاً قلبيّ الإيمان بأن وعد الله حق.

مقدمة

منذ اثني عشر عامًا، تحطّم قلبي؛ فقد انقلبت حياتي رأسًا على عقب، وأصبحت تلك الفتاة التي لا تُظهر من باطنها سوى الغضب وملامح القلب القاسي. كنت صغيرةً في السن جدًّا، ولا أعلم أن أعظم نعمةٍ سأحصل عليها ستولد من رحم ذلك المرض الذي قلب حياتي وجعلها مسجورة بالحزن والألم.

رفعت رأسي إلى السماء وسألت الله أن يعينني على إيصال ما بداخلي لمن أقابله، فلا يفهمني بشكلٍ خاطئ، لكن بعدي عن الناس وكوني انتقائيةً بعض الشيء جعلني أحمل قلبي وأظهر ما بداخلي على الورق، لا أبدية لأحد.

مرّت الأيام، وأدركت أن سر الحياة يكمن في مواجهة الصعاب لا بتفاديها. فانتابتي رغبة ملحة أن أشارك الناس هذا السر العظيم الذي جعل مني هذه الفتاة الراضية عن حياتها والصابرة على آلامها في نظرها.

منذ اللحظة الأولى التي قررت فيها أن أشارك الناس هذا السر العظيم، إذ بالأفكار تتدفق، والجمل تسبح في مخيلتي؛ فأخذت أناملي الصغيرة تكتب كل ما يجول في خاطري من كل حذب وصوب، حتى أملاً هذه الصفحات التي ستحمل لك أيها القارئ معنى هذا السر، وتزيل ظلام الألم بنور الأمل الذي سيملاً قلبك بعد الانتهاء من القراءة.

شكر

إلى روح المرحومة بإذن الله التي لولاها ما حققت شيئاً : الأستاذة ليلى السلطان.

إلى المعلمة الفاضلة التي لم تتركني في منتصف الطريق : الأستاذة رنا محمود.

إلى صديقتي ورفيقة هذا الإنجاز : الكاتبة بشرى رداد.

إلى رفيق دربي وصديقي وروحي : أخي الغالي أحمد فريج.

الباب الأول

باب الفرق

كانت تلك الليلة الباردة بالنسبة لي أحاول أن أستدفئ في الفراش أكثر من الأغطية، وأمي تصرخ: ماذا بك؟ حرارة الجو مرتفعة جدًا، وأنا أكاد أتجمد من البرد. هل هذا يعني أنني سأفارق الحياة؟ أيمكن أن أفارق الحياة دون أن أراه؟! لقد مرت خمسة أعوام على ذهابه، ألن يأتي لزيارتي؟ ضعي عليّ غطاءً آخر يا أمي أرجوك إن البرد قارص ولا أستطيع السيطرة على دموعي. لقد هبت نسمة دافئة، أظن أنه قد أتى ويريد أن يفاجئني. حسنًا إذن، سأفاجئه أنا بأنني علمت بمجيئه. لا أستطيع الوقوف على قدمي، لكني أريد استقباله، ساعديني يا أمي.

ها أنا آتية لاستقبالك، فلا تتساقطي يا دموعي ولا تنهمري. لقد أتى. أنا واثقة بذلك، هيا ابتسمي وحييه. فتحتُ الباب، وإذ به يقف أمامي. أحاول الثبات وكدتُ أقع، فوضع يديه الدافئتين على وجنتي وأخذني في حضنه. في هذه اللحظة ذهب البرد وشعرتُ بالدفء أخيرًا. كنت أشعر بالبرد قبل مجيئك.

نعم... هكذا كانت ستقول لو كانت معنا في هذه الجلسة. رحمها الله، كم كانت متعلقة بك. قاومت، وقاومت حتى لا تفارق الحياة إلا بعد رؤيتك. كانت كل ليلة تبكي على فراقك، وكل يوم تذبل أكثر من سابقة. فارقت الحياة مبتسمة وهي في حضنك.

أسيرة حبك

انتظرتك كثيرًا في أعوامي الأولى من شبابي. غدًا سيطرق بابي ويطلب يدي، سيكون عريسًا ذا أخلاق وصاحب واجب، سيحميني ويدافع عني، والأهم من هذا كله أنه سيكون فدائيًا. في كل ليلة كنت أنام وأنا أتخيلك وأرسم صورتك الوهمية على سقف غرفتي. كم حلمت بأولادنا الذين حتى الآن لا أعرف اسم والدهم، ولا شكله.

حلم كل فتاة أن ترتدي فستان الزفاف، تدخل بيتها، تحمل طفلها على يدها، يناديها زوجها " حبيبي "، وتسمع صوت ابنها يصرخ عند ألمه : " أمي، أمي ". وصلت سن الثلاثين ولم يأتي بعد، وعندما أتى وطلب يدي وتم النصيب، وحدد موعد كتب كتابنا، كانت صدمة عمري؛ ظننت أنني سأبقى في حضن أبي ولن يكون لي نصيب لدرجة أنني لم أنم ليلتها، والبسمة لم تفارق وجهي حتى منتصف الليل.

شعرتُ بغصةٍ غريبةٍ في قلبي لم أعلم سببها. بعد عشر دقائق من هذه الغصة الغريبة، فتحت هاتفي على الأخبار، فوجدت أن هناك شهيدًا من منطقتك. لم أكرث كثيرًا لهذا الخبر، واتخذته كباقي الشهداء، ثم بكيت عليه حبًا بأبناء الوطن. بعد ذلك نمت ودموعي تنهمر حزنًا على هذا الشهيد،

وأكرم طيفك : " عليك أن تحمي بلدك. دم ابن جارك في عنقك، عليك أن تأخذ بثأره وثأر جميع الشهداء ".

استيقظت في صباح اليوم التالي، والغصة لا تزال في قلبي. قلت لنفسي :

" اليوم يومكِ وعليكِ أن تفرحي "

حتى سمعت أُمي تقول لأبي :

" كيف سنخبرها؟ كانت تنتظر هذا اليوم منذ زمن. كيف سنقول لها لن تتم

خطبتك في يوم الخطوبة؟ "

خرجت من غرفتي كالمجنونة أسأل عن سبب تأجيلها :

" لقد استشهد، أليس كذلك؟ "

دمعة أُمي أثبتت سُؤالي؛ فقد كانت الغصة غصة فراقك، ولقد رأيتك في

منامي ليلة؛ فنسيت ما قد كان من أحزان، وحسبت نومي في حضورك يقظة

حتى أفقت على فراقٍ ثانٍ.

أُتيتك في نكري استشهادك أقول لك :

" صحيحٌ أنني لم أصبح حلالك، ولم نتكلم معًا مثل أي مخطوبين، لكن

بفعلتك هذه قد غرست نفسك في قلبي. أحببتك حبًا لا يوصف. رحمك الله

وتقبلك شهيدًا ".

فراق داخل اللقاء

قطعتُ ذاك الوعد، ولستُ أنا التي أخلف عهدي. كم كان صعباً عليّ هذا العهد، كل يومٍ ألقاكِ ولا ألقاكِ، فرؤيا العين لقاء، ورؤيا القلب بعد هذا العهد فراق.

كلّ يومٍ كنت أراكِ فيه، كنتِ تأخذيني في حضنك الدافئ، كنتُ أنعم بكل نعم الدنيا داخل هذا الحضن الرقيق الذي كان ينسيني أحزاني وآلامي. لم أنس يوماً تلك اللحظة التي كنت أودعك فيها خارجةً من منزلك، فأوقفتني وقلت لي:

" أنا بعرف شو بدك "، وأخذتني في حضنك دون أن أطلب كعادتي. لم أنسها رغم مرور الزمن. بقينا على هذه الحال حتى أتى هذا اليوم الأسود، كنت مضغوطة الأعصاب، لا أعرف ما أقول. أصرخ في وجهك أمام الجميع بأعلى صوتي، أهنتك كثيراً يومها، وحين وعيت على ما قلته بدأت أعتذر وطلبت حضنك، لكنك رفضته، وهو حقك بعد ما فعلت. لم أنم ليلتها؛ بقيت أبكي على ما فعلته مع أعزّ مخلوقٍ على قلبي، كمن يبكي دمًا على فراق ابنه. وبعدها كنتُ عند كل لقاء أبتسم منتظرةً عودة تلك الأيام. لم أعد أريد حضناً. فقط دعيني أضع رأسي على قدمك تمسحين عليه بتلك

اللمسات الحنونة. صحيحٌ أن حبّك لي لم يتغير وتعاطفك كذلك، لكنني اشتقت.

أتذكرين يوم العهد؟ أنا أذكره بتفاصيله؛ أتذكر كيف كنتِ إلى جانبي وأرسلت لك رسالة أنني أريد أن أخرج ما في قلبي من ألم ومعاناة. أتذكر كيف بدأت عيني تدمع؛ فجريت إلى الداخل حتى لا يراني أحد وأنا أبكي وأبقى قوية في نظر الجميع. أتذكر كيف أتيتني تتعطيني بالبلهاء لما كتبتة من أمور كنت أراها من زاوية واحدة؛ فبدأتِ تفتحين لي أبواب الزوايا الأخرى التي لم أعرفها.

أتذكر اللحظة الملعونة التي أعطيتك فيها هذا العهد، وقفتِ تريدين الخروج من الغرفة... ناديتُ عليكِ مستأذنةً بطلبٍ صغير:

- حنان...

- بلا هبل وامسحي دموعك بسرعة.

- حنان... ممكن طلب صغير وبوعدك تكون آخر مرة أطلبه منك.

علمتِ طلبي وأخذتني في حضنك دون تردد وأنتِ تقولين :

" ما بحب أشوف دموعك، أنتِ زي أختي وأعزّ حتى لازم تشوفي الأمور من

كل النواحي ولا تحكمي من أول نظرة، الله ما بحب الظلم."

آه، آه من هذا العهد. كم احتجت مراتٍ عديدةً حضنك ولم أجده، ليس لبعذك عني، فأنا أراك في الأسبوع أربع مرات أو خمس، ولكن حتى لا أخلف عهدي.

أتذكرين ليلة العيد عندما مددت يدي أسلم عليك؟ حينها لم تقبلي بالسلام فحسب، بل أخذتني في حضنك ووقتها لم أحتمل، وشددت على عظمك حتى ظننت أنني كسرت أضلاعك. كانت من شدة شوقي لهذا الحضن، وكان آخر حضن. كم أتمنى أن ألقى نفسي في حضنك، أضع رأسي على فخذتك، وأجلس بين أضلاعك تسرحين لي شعري. في كل مرة تأتين لتجلسي معي في المنزل حتى لا أبقى وحدي عند خروج أهلي؛ أبقى أفكر كيف سأحتضنك، ولكن هذا العهد يمنعي ويجعلني أتراجع، إذا كنتِ تدققين في حركاتي للاحظتِ أنني أبقى سارحةً في ملامح وجهك أو صدرك. كم أخجل من نفسي عندما تكلميني كأختك أو تمسكينني عند الدوار أو حتى عندما أستيقظ من نوبتي وأراك تمسكين يدي وعلى وشك البكاء. أخجل من نفسي بشدة؛ فوق كل ما فعلته بكِ تقفين إلى جانبي بهذه الطريقة. يا لي من حمقاء.

ولاء الأصدقاء

وقف أمام قبر صديقه، ورفع رأسه إلى السماء؛ تكاد حرارة الشمس توقد الأرض نارا، وقال بنبرة يملأها الانكسار :

" أيمكنني أن أمدد جسدي المتعب هنا؟ حسنا، لا بأس ليس الجو بهذا السوء، ستمطر بعد قليل. أنا أشعر بذلك "

استلقى على الأرض غير مبالي بحرارة الرمال، ويبدو أن الوجع في داخله يفوق وجع الاحتراق. نظر إلى القبر مطولا، كأنه يستمع إلى صديقه، ثم أجابه :

" أتيت؛ لأن الحياة ضاقت بي كثيرا بعد رحيلك. أودّ البكاء، لكنك لست موجودا فبرفقة من سابقي؟ تشبهك الأماكن كثيرا، أجدهم أمامي في كل مكان، لكني لا أستطيع لمسك، ولا أستطيع الاتكاء على كتفك. أذهب إلى المقهى وأجلس برفقتك على طاولتنا المعتادة، أراك جالسا أمامي فأحادثك، لكنك تنظر إليّ ولا تجيب. يظنني الجميع قد جُننتُ لأنني أحادث نفسي، لكنني أنا أراك وهم مصرّون على أنك غير موجود، فطلبتُ منك أن تُخبرهم أنك برفقتي، لكنك لا تجيب. حسنا، لا بأس. أتذكر قبل عامين عندما

اختلفنا ولم نُحادث بعضنا لمدة أسبوع. أنا الآن نادم على أنني أضعت تلك
الأيام بدونك. أعتذر جدًّا يا أخي. لا بأس حتى وإن كان الوجع يكاد يشق
قلبي، لكن عليك أن تُخبرني إن كنت بخيرٍ بالأسفل. أودّ لو أنني معك. أنت
ميّت بالأسفل وحدك، وأنا ميّت بالأعلى بينهم. طبّت وطاب مرقدك ."

القلب الدامع

ذا الاثني عشر عامًا يستيقظ في السادسة صباحًا حاملاً إناءه، يجري بين أبقار مزرعته؛ ي حلبهن واحدةً تلو الأخرى ينهي عمله، وينطلق نحو الأزهار، وقلمه في جيبه، ويده حاملة الأوراق، وشعره القصير يلمع مثل لمعة الشروق متطايرًا من الهواء القادم من جريانه. يتكى على جذع تلك الشجرة التي اعتاد على جلستها كل صباح ويبدأ بالكتابة، هكذا كانت حياته في صغره كل صباح حتى أتى ذلك اليوم البائس الذي اضطر فيه للعمل خارج بلدته. كان في السادسة عشرة من عمره، حاملاً مسؤولية أخواته الثلاث الصغار بعد وفاة والديه في حادث سيرٍ مؤسف؛ فتركهن عند عمه وذهب يبحث عن عمل.

كان عمله لدى رجلٍ مُسن يعمل في رعي الأغنام، وجد ذلك الرجل أن الأنسب لمن يعمل لديه أن ينام في منزله؛ لبعده بيته عن مكان الرعي مسافةً بعيدة، لكن هذا الطفل الحامل للمسؤولية رفض ذلك وقال له :

" أنام بين الحقول ولا أنام في منزلك يا عماء، فلديك شابات في المنزل لا

يجوز أن أنام معهن مهما كان السبب ".

قال الرجل في نفسه :

" إنه حقًا ليس بطفلٍ عادي. صحيح أنه صغير العمر وخفيف الجثة، لكنه ذو عقلٍ كبيرٍ عليّ أن أسانده وأقف إلى جانبه قدر المستطاع"، ثم قال للطفل: "معك حق يا بني، لا بأس سنبني الآن معًا كوخًا صغيرًا ها هنا تكون فيه قريبًا مني ومن أغنامي. أوْمَن لك فيه مأكلك ومشربك، وتستطيع البدء بالعمل في الصباح دون تأخير، وتأخذ إجازة كل يوم جمعة وثلاثاء حتى تطمئن على أخواتك".

أجابه الطفل بلطف وأدب :

" شكرًا لك، لكن اسمح لي أن أنام مع الأغنام عمي، ولا بأس لا نحتاج ذلك الكوخ. أستطيع أن أنام بينهن متخذًا منهن أصدقاء تؤنس وحشة الوحدة؛ ستعطيني أفكارًا للكتابة أكثر، وأكثر، وآمل ألا أكون مثقلًا عليك في شيء، وأن أكون عند حسن ظنك". استغرب الرجل من هذا التفكير، قائلاً: "كما تريد".

انطلق في صباح اليوم التالي بنشاط حاملاً خيزرانتة قائداً الأغنام نحو الحقول، وكانت دموعه تملأ قلبه حزنًا على فراق أهله، متجاهلاً الحزن

بالبسة اللطيفة، ولمعة شعره مع نور الشمس الخفيف في أول النهار تهدي
الأمل لكل شخصٍ يراها فاقداً الأمل في تلك القرية.

أول جمعة له في العمل إنه يوم إجازته؛ أخذ أجرته من العمّ وبدأ بالجري
نحو منزل عمه، والفخر يغمر قلبه؛ فقد أخذ أجرهً تعيله وأخواته الثلاثة أربعة
أيام. ما أن طرق الباب وطرح السلام على أهل البيت حتى بدأ بالبحث عن
أخواته. كانت أخته الوسطى على فراش المرض والحمى تأبى الهبوط. عانق
الأختين الأخريين وذهب عندها غير مُبدي أي شعور بالحزن، لا يريد أن
يبث الخوف والحزن إلى قلوبهن فيستسلمن لأمر الحياة دون تحدٍ للصعاب.
وضع لها كمادات المياه الباردة على جبينها، علّ الحمى تخف عنها قليلاً،
لكن بلا فائدة.

يومًا بعد يوم وحال أخته تزداد سوءًا، وهو ليس في يده حيلة سوى العمل.
بمجرد مجيء يوم الثلاثاء؛ أخذ أجرته وبأسرع ما يمكنه انطلق إلى بيت
عمه، فرأى أخته تنتظره على باب المنزل تمسكها أختاها، وكانت مصرة أن
تستقبله استقبالا يليق به. أخذها في حضنه وراح يربت على ظهرها وهي
تبتسم. فارقت الحياة وهي في حضنه تأبى تركه. لم يحتمل كل هذا الضغط
وبدأ بالبكاء والعيول على كل ما مضى، ولم يبينه لأحد من قبل، ولا يعلم به

غير الأغنام التي يحاكيها، وقلمه والأوراق، لكن بعد بضع دقائق وقف،
وقال في نفسه :

" لست أنت من يبكي أمام الناس. أنت القوي وأنت السند لأختيك المتبقيتين،
فلا تجعلهما تستسلما. اغرس زهر الأمل في قلوبهما. امسح دموعك الآن،
واذهب لتخفف الحزن عنهما ".

عندها ذهب إليهما وبدأ يطبب عليهما بكلمات لطيفة، محاولاً التخفيف عن
قلبيهما، ثم ذهب إلى عمه وأوصاه بهما خيراً بعد دفن أخته، وعاد إلى
العمل والحزن واضح على وجهه على غير عادته. لم يعد ذاك الطفل
النشيط الذي يعطي الأمل للجميع، بل أصبح يعمل دون أي تأثير أو حتى
كلام، وأصبح يومه فقط عملاً ونوماً.

بعدما علم الرجل بما حل بأخت ذاك الطفل الذي اعتاد أن يراه بشوش الوجه
متحدياً للصعاب. ذهب وسأل عمه عن سبب وفاة الطفلة بهذه الطريقة،
فكان الجواب صدمة كبيرة للرجل :

" الأطفال الأربعة يحملون مرضاً يصعب تصديقه، لا أحد يعلم متى سيموت
كل واحدٍ منهم، وكل ما نعلمه أن من يحمل هذا المرض يموت في صغره

إلا ما ندر، ونحن نخفي هذا الأمر عنهم حتى لا نقيّد أضلعهم بالخوف
فيستسلمون بسرعة".

وصل الرجل منزله والحيرة تجول في عقله، وهو يفكر بهذا المرض الغريب.
حلّ الظلام، والفتى لم يعد بعد؛ ذهب لبحث عنه بين الحقول التي يرعى
فيها دائماً، فوجده ملقياً على الأرض، والقلم والأوراق في يده، والبسمة
مرسومة على وجهه كالملاك الحزين. أخذ الرجل يقرأ ما كان يكتب ذلك
الفتى؛ فبدأ يذرف الدمع على ما يقرأ :

" أشعر بقرب موعدني. يظن الجميع أنني لا أعلم بمرضي وأمر أخواتي،
لكنني أعلم، وما أصعب أن تعلم أنك تحمل مرضاً يصعب تحديده. والداي...
أختي، لن يطول الغياب بيننا. قادم لكم؛ إحساس غريب غمر قلبي في هذا
اليوم. أدعوك ربي أن تحمي أختي من أي شيء يضرّهما، واجعلهما من
النادرين الذين يتحدون هذا المرض ويستطيعون. أحمدك يا الله على كل
شيء أعطيتني إياه، يا الله... أعن العمّ الذي أعمل لديه".

ثم فارق الحياة مبتسماً حامداً ربه ومتمنياً الخير للجميع.

الباب الثاني

باب روح الوطن

هواء البلاد

سكن قلبي والفؤادُ، حبه صعبٌ كالجهاد، إن قربنا منه؛ خشينا البعاد، وإن بعدنا عنه؛

دخلنا في حداد، فحبه لقلبي الإياد، وقربه مني كي أعيشُ هو المراد.

أيا فلسطين ..

بالقلب أنا معك وبالروح.

سكتوا عن حقك، لكنني أبوح: "مظلومة أنتِ على يد صهيوني غاشم، ومظلومة أنتِ

على يد عربي عن نصره أخيه نائم".

أيا فلسطين...

صبراً جميلاً يا بلاد. ظلام هم هؤلاء العباد، لكن الرب حاكم عدل لا يحب الفساد.

سيجزئهم ما عملوا بكِ يوم الميعاد، وستجزين أنتِ على ما صبرت من استبداد.

أيا فلسطين...

مطار الشهداء

إلى المطار انطلق، والدمع يملأ عينيه. أنى لي أن أفارقك؟ إنَّ الوطن - رغم الجروح
والحروب - لهو الأمن والأمان، لكنني آتٍ - بإذن ربي - كي أسافر من ارتجاف
النفس والروح على الأرض إلى طمأنينة الله. آتٍ يا مطار الشهداء، فيا ربَّ تقبّلي
شهيدًا.

هل ترانا نلتقي !

كلما طالَت أيام الفراق بيننا؛ يرنو طيفي لك لامعَ العينين. ألم أمضٍ في
طريقي رغم الحصار مرورًا بطريقٍ شائك، ووعدت نفسي إثر قهر الإبعاد أن
أبقى؛ كي يعود لك من بعد هذا اليباب خير. فناداني ربي :

" إن وعدي حقّ؛ فالجئي إليّ بالدعاء "

هناك من قدّموا أرواحهم فداك؛ مستجيبين لندائك دون خوف أو ارتباك.
كانوا يحلمون بلقياك، ففارقوا الحياة صارخين :

" سلّمنا أمرك لرب السماء "

أقصاي، وإن تم إبعادي عنك؛ فإنك محفور في القلب. عدت بعد تفريقنا
باكيةً القلب، مليئةً بأنات العذاب، إذ كيف أراك؟ أدتُ ظهري والقلب بالدمع
متقل، تائهاً في وقت الظهيرة بين الظلام والسراب، ولا أزال أنتظر ذاك اليوم
الذي أضمك فيه بعمق، قائلةً :

" شكرًا يا مجيب الدعاء "

كلمة شهيد

ما قيمة الكلماتِ يا من ملأتم الصفحاتِ كتاباتٍ في عصر الدماءِ دون غضبٍ ولا انفعالٍ؟ ها نحن ذا في بيوتنا قد قُتلنا في عملية اغتيالٍ؛ فملأتم الصفحاتِ بصورنا، وكلماتٍ تظنون أنها ستُكفُّ ما بين أمتنا من انفصالٍ. كَفَّوا عن الكذبِ على أنفسكم؛ لن ينفروا ما دمتم تخافون على أرواحكم الزوال. ويا شعوب أمتي، لا تفرُّوا من قضاء الله؛ فلن تستطيعوا، وأنهوا ما بينكم من شجارٍ واتحدوا بالوصالِ.

فلسطين الحبيبة

بكل مودة تأملتها، وأُعجبت بكل تفصيل فيها. ها هي دماؤنا تسيل لها. أناس أغويتهم
الدنيا، وشباب ظلموا؛ يا ويلنا! نساء هُتكت أعراضهن، وأطفال تمزقت أحلامهم،
وبيوت هُدمت ذكرياتها، وشيوخ دُقت أعناقهم. ما لنا ولهم إلا رحمة الله.

نحن من يحن

ظهرت لي اليوم في حلمي تعاتبني :

لم أزرِكَ حتى الآن، وأنت بجواري، إلى هذا الحدّ اشتقتَ إليّ؟ مع أنني لم أزرِكَ. اشتقتَ إليّ؟ وأنا ماذا أقول؟ أنا التي حاولت مرارًا أن آتيك، ولكن بلا جدوى. وكما قال بلال الأحمد :

" تحنّ الروح للأوطان، للأقصى وللقدس، ونصمد يا أذى الطغيان جودي روجي ونفسي "

نحن من يحنّ، نحن الممنوعون ولست أنت. أنت يأتيك المسلمون بكل الأعمار من كل حدبٍ وصوب.

أتيّت تستغيث بي وتعاتب: لماذا لم أحاول إنقاذك حتى الآن؟ ألا تعلم أننا نحن الإناث تحترق قلوبنا من شدّة ألم عدم المقدرة؟ جهادنا يكون بالصمود والثبات في منازلنا، والاستهزاء بالعدو عندما يحاول إيلا منا.

أما والذي رفع السماء بلا عمد لن أتوقف عن محاولة دخولك واحتضانك. سأجري في ساحاتك يومًا ما، سأضم مئمن الأضلاع الأزرق إلى صدري، سأرى لمعة قبّتك الذهبية كدمعة فرحٍ بلقائي. لن أتوقف عن المحاولة حتى المنون.

عزاء الأمهات

يعجب الناس من بكاء الأمهات الفلسطينيات عند ولادتهن لأطفالهن، ولكن يوم الإنجاب لديهن يومٌ عزاء .

تبدأ ذات العينين البرّاقتين تسرح في خيالها: كيف ستحميه من صاروخٍ ساقطٍ قربهم أو حتى فوق رؤوسهم؟ كيف ستتمّم له حُسن الرّعاية؟ كيف ستحميه من رصاصةٍ طائشةٍ من بندقية صهيونيّ نجسٍ عانقت رأس طفلها؟ وتعجبون من بكائهن؟

تحمل الأم طفلها بين ذراعيها، رافعة رأسها تدعو ربها كما قال الشاعر طارق سلامة :

" أيا ربّ العرش، أيا ربّ السماء، انساني أنا واحفظ ما بين ذراعيّ من شرِّ وغدرٍ وبلاء "

وتعجبون من بكائهن؟! وماذا عن تلك التي أنجبت طفلها ووالده أسير؟! هُدم بيته بالإجبار؛ فقضت عمرها وطفلها عند عجوزٍ تحتاج إلى عناية، وفي صباحٍ من صباحات العاشرة من عمر طفلها، قبّلتها قبله وداعٍ واحتلّ اللقاء،

إذ عاد من مدرسته وحقيبته تعلقو أكتافه، فرأى شهيدة تُحمل على أكتاف المشاة.

بدأت نبضات قلبه تخفق بسرعة البرق، قائلاً - كما قال الشاعر طارق سلامة :

" إنها أمي، فكيف أمي؟ إني أراها بعيني رغم الغطاء. أراها بقلبي روحًا زكية في جناتِ ربي لها بقاء "

فاستهزأ به ذوو الحى، متصنّعو الدين وجاءوه بحزامٍ ناسف، وربطوه حول خصره قائلين :

" الحق بأمك يا ابن الشهيدة "

وتعجبون من بكائهن!؟

صلب ظهره أمامهم، وصرخ بأعلى صوته :

" مباركٌ لكِ الشهادة يا أمي "

ثم خلع حزامهم وألقاه عليهم قائلاً :

" لن أصغي إليكم مهما قلتم، فإسلامي ليس إرهابًا "

وتعجبون من بكائهن!؟

ما الذي أنك روحي؟

ما الذي أنك روحي؟

ماذا أقول؟ أم ماذا؟

هل أقول : أنك المرض؟ أم أنك الكلام الجارح؟

أقول : أنك بعد إخوتها المتتابع بسبب العدوان؟ أم أنك إبعادها عن

أرض المحشر والمنشر؟

هل أقول : إنها أنك بسبب الجوع والفقير؟ أم بسبب عدم المقدرة على

تحقيق أحلامها؟

سؤالك غريب يا صاح، لكنني سأعطيك جوابي النهائي :

" روحي لم تُنك، ولن تُنك "

من وُلِد على الحاجز مع صوت إطلاق النار، وترعرع على حواف الطريق،

وتعايش مع رائحة الغاز المسيل للدموع، ورأى قدم صديقه بين يديه مبتورة

بسبب قنبلة من صهيونيّ نجسٍ يخاف من حركة طفلة صغيرة — لن تُنك

روحه شيء .

من أنا ؟

من أنا؟

أنا الجالسة في منزلي بين أصوات الرصاص؛ أنتظر دوري في الاستشهاد فداءً

للوطن.

أنا المجاورة لأرضٍ محرومة من زيارتها رغم قربها.

أنا المعتدى عليها من قبل صهيونيّ نجسٍ يخاف من طفلة وُلدت على حاجز،

وكبُرَت على رائحة الغاز المسيل للدموع، وترعرعت على حوافّ الطريق بعد أن هُدم

بيتها.

أنا التي تحلم بيومٍ تعيشه بأمانٍ دون خوفٍ تكتمه بداخلها مُظهرة الشجاعة.

أنا الملتصقة بأرضها صمودًا، وثباتًا، وثقة بوعده الله لنا بأن نتحرر.

أنا المؤمنة بأن وعد الله حقّ.

أنا نظّر الكفيف.

أنا نطقُ الأكم.

أنا سمعُ الأصمّ.

أنا الفلسطينية.

الباب الثالث

باطن فتاة

مثلي الأعلى

أحببتك حب الطفل لأعباه، وحب الأب لأولاده، وحب المسلم لأخلاقه. ولا أظن أنني قد بالغت في هذا الحب؛ فأنت تستحقين أكثر من هذا كله بكثير.

لا تسأليني لماذا أحبك، بل اسألي قلبك هذا السؤال. كبرت على حُبك، ولم أرَ أحدًا مثلك، واتخذتُك مثلي الأعلى. أسأل الله أن يمنحك القوة، وأن يفيض عليك بالخير، والصحة، والعافية. شكرًا لك يا جزءًا لا يتجزأ من قلبي.

ماذا لو حدث ما تمنيتُ؟

لو حدث ما تمنيتُ وتحقق حلمي، لجبت الشوارع زقاقًا، زقاقًا؛ أصرخ بأعلى صوتي: "قد جعلها ربِّي حقًا!"

لو حدث ما تمنيتُ، لسجدتُ لربِّي سجدة شكرٍ فور سماعي بالخبر.

لو حدث ما تمنيتُ، لجريت نحو معلمتي وعانقتها؛ فلولا وقفنها السامية، اللطيفة، الرافعة للمعنويات إلى جانبي، لما وصلتُ.

لو حدث ما تمنيتُ، رغم صغر أمنيته وكثرة أوجاعي، لكنك أسعدت إنسانًا على وجه هذه الأرض.

كما أنا ...

لا أريدك أن تحبني؛ لأنني مرحة وممتعة أو لأن وجهي جميل وشخصيتي عميقة
أو لأن أفكارني تعجبك وثيابي تجذبك. أريدك أن تحب السوء الذي أكرهه فيّ،
وعيوبني التي أتجنب إظهارها. أود أن تُشعرني بالراحة في رؤيتها، وأن تحب خوفي
الذي لا يطيقه أحد، ومزاجيتي التي تُرعب الجميع.

أُحِبُّنِي مَتَدِين

لو أُحِبُّنِي مَتَدِين، وقرأ لي القرآن كلَّ ليلة بصوته، لكنْتُ أسعد إنسانةٍ على وجه الأرض؛ سيكون سبيلي إلى الجنة بإذن الله. عند غضبي يبدأ بتلاوة الآيات التي تُخَفِّف من الغضب، وكذلك عند الحزن والفرح والاكْتئاب. عند مجيء نوبتي يبدأ برقيتي وقراءة آيات الشفاء.

لو أُحِبُّنِي مَتَدِين؛ لسهرت الليل منتظرة عودته؛ فقد اعتدْتُ على صوته. لا أعلم كيف يقولون عن صوت من يقرأ القرآن، إنه ليس بجميل، يكفي أنه يقرأ كلام الله ويُرَتِّله. سأبقى أنتظر مجيئه ليقرأ لي بصوته الحنون الذي اعتدْتُ أن أنام عليه.

لو أُحِبُّنِي مَتَدِين؛ لما كنتُ كباقي الفتيات أخاف أن أفقده بسبب أخرى أو أن يميل قلبه لغيري؛ فأنا أعلم أن من يخاف الله إلى هذا الحد لا يقبل معصيته، وإن تزوج عليّ فسيعدل كما أمره الله.

" اللهم ارزقني زوجًا صالحًا يخافك ويحبك، يُعينني على عبادتك، ويكون زوجي في جنة الآخرة "

رسالة لأقرب الناس من قلبي

بعيدة عن ناظري، لكنك قريبة من قلبي.

بعيدة عن لمسائك، لكنني قريبة من كلماتك.

وجودك بقربي يؤذيني، وبعدك عني يغميني.

فعلتُ المستحيل لرؤياك، وعند رؤياك تبكينني، ومهما ابتعدت عني مكاناً؛ فوجودك

في قلبي يكفيني.

وأنت ماذا تريد؟

كلُّ ما أريده هو الأثر، الأثر الطيّب فحسب. لا أريد شيئاً من هذه الدنيا سواه. كلُّ البشر فانون، ولا يبقى منهم سوى أثرهم، فهناك من ترك أثراً خلفه فتسبّه الناس بسببه، وهناك من ترك أثراً طيباً خلفه فجعل جميع البشر يتّخذونه مثلهم الأعلى، لكنني أريد أن أكون مختلفة عن الجميع. لا أريد أن أترك كتباً تدخل القلب فحسب، ولا أريد أن أكون طبيبةً أثرها بالعلاج لا يُنسى، وكذلك لا أريد أن أكون مهندسة تُبنى على يديها مدارس ومشافٍ وما إلى ذلك، فتُذكر عند ذِكر مبناها. لا أريد أن أكون محامية أَدافع عن الحق وأُضطر أحياناً للدفاع عن الباطل. لا أريد أن أُحقّق حلمي فحسب، أريد أن أبقى على قيد الحياة رغم مماتي. بالطبع لن أكون مثله حبيبي ﷺ، فأثره ليس كمثله أثر نذره عند الخير فنمدحه، ونذره عند الشر، فنقول: "لو كان لفعل كذا، ونذكر الطيّب من أعماله". نذره في كل مكان وزمان. هذا ما أريده: أن أبقى على السنة الناس من بعدي.

اعذرنى يا رسول الله، مع أنني على علمٍ تام بأنني لن أكون مثلك، لكنك ستبقى مثلي الأعلى بأخلاقك وإنجازاتك العظيمة.

أريد أن يفخر ابني بي بعد مماتي، وأن يبقى يروي قصتي لأولاده وأولاد أولاده. أريد أن تزرع قصتي الأمل في صدور البشر من بعدي.

أريد ممن يقرأ كتبي أن يذرف دموع حمدٍ لله على ما يمرّ به من مأسٍ، فما يمرّ به لا يساوي عشرَ ما مررتُ به وما سأمر.

أريد ممن يسمع بقصتي أن يقول: أنا أستطيع فعل ذلك، وفي الختام أريد ممن يذكر اسمي ألا يذكره إلا بالحُسنى ويقول :

" رحمها الله وأسكنها جنّات الفردوس "

آراء الناس

كبرتُ وأنا أسير كما يريد الناس؛ فبقيتُ على هذه الحال حتى راح صوتي بين أقدامهم. أراه يتحقق أمامي، وما إن أصل إليه حتى أتحقق من أنه ليس إلا سرابًا.

يُمنع عليّ الكلام وإبداء الرأي، ممنوع فعل هذا، ويجب فعل ذلك. لا تقرحي بإنجازاتك الآن، لم تمرّ سنة على وفاة قريبك عليك أن تذهبي إلى حفلة فلان مهما كان حالك له عليك حق، وقد جاء إلى حفلتك... إلخ.

وما إن أفتت من غيبوبة كبر السنّ، سنة تلو أخرى حتى وجدت نفسي في سجنٍ لا أستطيع فيه الحراك ولا الكلام؛ فقط آخذ الأوامر من هذا وذاك.

لا تبني لنفسك سجنًا قضبانه آراء الناس عش حياتك بقدر إمكانياتك، وكما تحلم أن تعيش. عش بعفويتك فمن أحبك، أحبك لأنك أنت، لا لأنك تسير كما تسير باقي الأمة. أحبك لأنك مختلف عن الجميع، ومن ابتعد عنك، لأنك خالفت أحد التقاليد المتوارثة، فذاك لم يكن يحبك من قلبه، بل كان يحبك لأنك لا تتكلم إلا كما يريد هو أن تتكلم معه.

عفويتك ستبين لك من يحبك ومن لا يحبك، عفويتك ستوصلك إلى أحلامك، عفويتك ستبقي حولك السعادة وتذهب الحزن. عش كما تريد أن تعيش.

روحي

عندما أُحادث نفسي، وأقول : " روعي " ، لا يخطر في بالي سواك. فالروح ليست النفس، ولا الحبيب، بل الروح هو مَنْ يفهمك بمجرد النظر إلى عينيك، هو مَنْ يتقبَّلك بعيوبك، مَنْ يُفَرِّغ نفسه من أجلك، وَمَنْ يفعل المستحيل ليبهجك.

أختي... أنتِ روعي.

رقرقة العيون

كم كنتُ أحمل في قلبي كُرْهًا لكَ، كنتُ أظنُّ أنّكِ بهذه الخطبة ستسرقين أخي مني
وتُبعدينه عن حضني، وكنْتُ سأعاملكِ كما تُعامل كلُّ فتاة زوجة أخيها.

عندما أتيتُ لأُقابلكِ أول مرة قبل قراءة الفاتحة، وضعتُ رأسي إلى الأرض أفكر:
"كيف سأجعل هذه الخطبة تَهلكِ ونفْسُك؟ لكن ما إن أتيتُ أمامي ولامست يدك رأسي
حتى رفعتَه، وتلاقت عيناي بهاتين اللؤلؤتين اللامعتين.

ظننتُ أن أمامي ملاكًا قد نزل من السماء، هذه النظرة اللطيفة قد قلبت الموازين في
قلبي قبل عقلي، وألقيتُ نفسي في حضنكِ دون تفكير، قائلة: "أهلاً بكِ بيننا يا أختي".

"إنَّ العيون لها بوح ورقرقة أسمى وأفصح ممّا قيل أو كُتِب"

صحيح أنّك لم تسرقي أخي مني، لكنكِ سرقتِ عقلي بعد قلبي، ومألتِ فكري
بصوركِ وكلماتكِ ولألاءة عيونكِ الفتانة.

أُحبكِ.

وردتي المتفتحة

إنني أراك بعين قلبي جنة يا من بقربك مرُّ الحياة يطيبُ، وأرى الحياة بدونِ وصلك
مُرَّة، وأرى جروحي مالهنَّ طيببُ، أرى الغروبَ إذا التقينا متعة، وأرى الشروقَ لدى
الفراقِ غروبُ.

لماذا أحبك؟

وأسأل نفسي : لماذا أحبك؟ لم أرَ وجهك الملائكي كما يصفونه، ولم أتعامل معك لأعلم مدى حُسن تعاملك كما يقولون، ولم أسمع صوتك الحنون، ولم أكلمك أبدًا، ولكنك في كل أحاديثك تكلمني، تدلني على الطريق الصحيح وترشدني.

كم تمنيت أن أكون عائشة؛ لأكون حبيبتك الأولى، زوجتك في الدنيا، ورفيقتك في جنة الآخرة. عندما يسألك أحدهم: من أحبّ الناس إلى قلبك؟ تقول اسمي دون تردّد أو حياء، ولكن بعد كلّ أمنية كهذه، أسأل نفسي: "لماذا أحبك كل هذا الحب؟"

سيبقى هذا السؤال عالقًا في ذهني حتى يوم الحساب، حتى أجلس بجانبك يا حبيبي بإذن الله، حتى أنعم بالنظر إليك.

كيف أحبك؟ وبأيّ مقدار؟

أحبك بعدد الأيام التي مضت بعد الميلاد وقبله، إضافة إلى الحدّ الذي أحبّك فيه أبو بكرٍ وعمر، وفوقه مقدار ما كرهك عمّك، وأضف فوقها عدد ما صلّى عليك الناس وعدد ما سيصلّون. صلّى الله عليك وسلّم.

لا تتبدي عني

لن أنسى تلك الليلة التي قضيتها في فراشي كجثة هامة. قد أنسى كلَّ شيء، لكنني أتذكر بوضوح كيف أتيت فقط لتسعديني وتقفي إلى جانبي. أتذكر كيف أنني قمتُ كالعسكري بعد التعب والخمول؛ وقفتُ فقط بسبب الطاقة التي منحني إياها، ولم يستطع أحدٌ أن يمنحني إياها. أنتِ إنسانة لا مثيل لها. حماك الله ورعاك.

ماء صحرائي

" يا رب، ألا يخونني الطريق الذي سأدفع فيه جزءًا من عمري "

هذا ما رأيته على صفحتها؛ فأحرّ قلبي. أيمكن أن يكون هناك من يخون
الفضل، وخاصة فضل التعليم؟ كيف كانوا سيصلون إلى أهدافهم دون هذا
الفضل تحديدًا؟

وينسون طريقة التعامل الصالحة والكلمات الحسنة؟ وإن خانك الطريق يا
غاليّتي، فاعلمي وتقي أنّ في وسطه من يقول :

" إنها التي جعلت مني أمةً مثابرة. هي التي زرعت في صحراء قلبي القاحلة
زهورًا ذات بتلاتٍ تفيض إصرارًا وعزيمة، رغم جفاف صحرائي تنبّت. أنّى
لي أن أنسى فضلها وأتجاهل لطف تعاملها؟ كيف أخون ماء صحرائي؟ "

حبيبي

ذات حُضنٍ دافئٍ يُعيدُ البسمةَ إلى وجهي العابس في كل مرة تحتضنينني
فيها، رغم بعدك عني إلا أنني أحبُّك، وأحبُّ تواجدك، وسماع صوتك
صاحب النعمة الجميلة. أحبُّ اللعب معك، واشتتام رائحتك، ورؤية بسمتك،
ولألاء عينيك. أحبُّ كل تفصيلٍ فيك، وكل أمر يعينك، وكل شيء الفرحة
يعطيك، وأكره أي شيء يؤذيكَ ومن أساء بكلمة أو حتى حركة فيك ومن
ثنى عطفه عليك، وأحبُّ من يثنيك ومن بعطفه يكفيك.

رهيفة، رقيقة، ظريفة، عطوفة، قسيمة، جميلة، مليحة، صبوحة، شفيقة،
رفيقة، بهيثة، رؤوفة، سميحة، سعيدة، فريحة، وضحوكة، ولو أردت أن
أكملَ وصفك لما توقفت دقيقة، لا أحد يستطيع وصفك بدقة صحيحة فسلام
عليك يا منبع السلام.

عزيرة الروح

في هدوء مجلسي أراك، يا من كنت لي سنذاً. تدمع عيني، ولا أقوى على
تمالك أعصابي. أراك أمامي تضحكين تلك الضحكة الرائعة التي كانت
تُخلجني كلما ضحكتهَا. تُرى هل تسمعين كلامي؟ هل تشعرين بأحاسيسي؟

زرتني في حلمي منذ يومين، وعانقتني آبيةً تركي. هل اشتقت لي كما هو
شوقي لك؟ هل تذكرين ذاك اليوم الذي جعلتني به أصعد أول درجة في
نجاحي؟

أذكره بتفاصيله...

لو أنني ألقاك الآن، نادمةً على كل ثانية كنتُ أستطيع فيها تكليمك أو حتى
أن أنظر إلى وجهك الرقيق، يا صاحبة العينين الجذابتين.

رحمك الله، وأطاب مرقدك، وأسكنك فسيح جناته.

معلمتي الغالية الأستاذة " لينا السلطان "، لن أنساك يوماً، ولن أنسى فضلك
ما حُييت.

إلى أخي البعيد

أيا رفيق دربي، لو خذك العالم، ونفر الناس من حولك، وتبددت أنوار قلبك،
وصارت أحلامك حُطامًا، فها أنا هنا لأجلك أنتظر، وأنتظر حتى تأتي
إليّ؛ وتُفرِّغِ حملك العاق على كتفي، وتستند بجسدك الواهن عليّ، وهاك يدي
تلامس جرحك الغائر؛ تُطيبه وتسدُّ فجوته التي ما لبث الظلام يملأها من
جُلِّ ما ذقته من مرارة يلفظها قلبك.

ها أنا أقف بمواجهتك؛ لتعصِّف بي الرياح بدلًا منك، وتأخذ أنت من حلو
نسيمها ما يتسلل إلى روحك؛ فيفعمها بنورٍ يجلو ظلامها، فلعمرك ما عدت
أحتمل شعور اليُتم ببُعدك. فلنبق معًا عهدًا وموعداً، ولتمسك يداك يدي
لأواجه العالم بك ولك.

كُلِّي فخر

كُلِّي فخر بكوني ابنة تلك الأم الجميلة الحنونة التي علمتني معنى الصبر،
وأن الحياة جميلة مهما امتلأت بالصعاب.

هي التي أخبرتني أن أفضل شيء في الدنيا هو أن تكون مُبتلى من ربك
كما قال ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا ابْتَلَاهُ».

هي التي غرست في قلبي مساعدة الناس عند حاجتهم إلينا، وإن كانوا قد
آذونا من قبل.

كُلِّي فخر بكوني أخت ذلك الصامد الذي، إذا ذُكر اسمه أمام أيِّ أحدٍ طيب
القلب سَعِدَ، وإذا ذُكر أمام المُخطئ ارتجف وخاف، وفخر آخر بكوني أخت
تلك التي يفرح بلقائها الجميع، ويكرمون كلَّ من له صلة بها.

كُلِّي فخر بكوني صديقة تلك الفتاة جميلة الوجه، رقيقة القلب التي لا يمضي
يوم علينا منذ تعارفنا إلَّا وبنتراسل ولو بـ "صباح الخير" لا غير. هي التي
أخاف عليها أكثر مما أخاف على نفسي، وهي التي كلما احتجَّتها وجدتها
إلى جانبي دون أن تتجنب أيَّ موقفٍ مهما كان.

كُلِّي فخر بكوني طالبة تلك المعلمة التي تسعى لإنشاء جيلٍ ذي قلبٍ راقٍ،
وعقلٍ صافٍ. لا يهْمُها العِلْم بقدر ما يهْمُها الخُلُق. تتخذ من طلابها أبناءً
لها، وكأنها أمهم بالفعل.

كُلِّي فخر بكوني إحدى الأمهاتِ المُبتَلَيَاتِ من رَبِّهنَّ، فهذا الابتلاء جائزة لي
من ربي؛ فلولا أنه يحبني لما ابتلاني هذا الابتلاء كلَّ تلك السنين.
نعم... كُلِّي فخر.

عيدي عيدان

سؤال طُرح عليّ؛ فكان سهمًا أصاب قلبي الصغير :

" ماذا لو جبرك الله في العشر من ذي الحجة، وكان العيد عيدين؟ "

رسم بسمة رقيقة على وجهي لا أستطيع إزالتها، وأدخلني في حُلمٍ قريبٍ .
بإذن الله . سيصبح حقيقة . سيجبرني الله ويعافيني، وسيدخلني الأرض
المقدسة التي حُرمت منها، وأعانق قُبتي الذهبية ذات الجسم المثمن
الأضلاع الأزرق . نعم... سأضمها إلى صدري، وتتهمل دموع الفرح،
وسأصلي على أسفلت تلك الأرض الحبيبة . سيجبرني الله؛ وسأصبح كاتبة
يعلو اسمها في الأرجاء . بالضبط هذا ما سيحصل . بإذنه تعالى . سأدخل
هذه الأرض معافاة، ويقولون هناك: "إنها الكاتبة رؤى" في عيدي الذي
سيصبح عيدين .

صغيرتي الفتانة

دخلتِ قلبي، وكنتِ له الضياء؛ أحييتني بعد الانطفاء، وكنتِ لقلبي الدواء،
ولا زلتِ لعمري البهاء. علمتني معنى الولاء، وأن يكون للقلب صفاء. أتحدث
إليكِ بلسان الرجاء :

" ألا تأخذي من الناس السفهاء، ولا تتأثري بمن يتحدث معكِ باستهزاء "

فأنتِ من في روحها نقاء، وتقدمين نفسك فداءً لفرحة الآخرين، وتعرفين ما
معنى الوفاء، فحافظي على نفسك، يا مَنْ لمجموعة كبيرة أنتِ الهناء.

أحذر وحافظ

تمر عليك أيام عليك أن تُحاذيَ الجميع خلالها، لا ترى أحدًا ولا أحد يراك. ستكون ضعيفًا في تلك الأيام، ولن يشعر بضعفك وانكسارك سوى من أحبك بعمق. تمسك بالأحبال التي تصل إليك؛ فلن يشعر بك إلا ذلك الذي يُصِرّ على لُقياك رغم معاندتك، ورغم رفضك، ورغم تحولك في معاملته من الرقيق إلى المتوحش. هو الإنسان الوحيد الذي يشعر بك، ذاك الذي سيُريحك، فلا تقبل ملاقة غيره. ألقِ نفسك في حضنه دون أيّ تردد؛ فحضنه سيكون دافئًا مريحًا، ولا تُقابل أحدًا إلا بعد احتضانه لك؛ فعندها ستعود صاحب ذلك الوجه البشوش، والضحكة المريحة الجميلة، والكلمات اللطيفة.

صديقتي الغالية

لي صديقة جميلة، منذ علمت بضيقى تُحادثني أكثر، وتسالني في اليوم
مراتٍ عدة، بين حديثها : " أفضل؟ "، فقط هكذا بخفة وبساطة، والعجيب
أنني أصبح أفضل بسؤالها الحاني هذا، كأنه تربيته وقُبلة، وكأنها . رغم
المسافات . تمسح عن قلبي كدره كَأثرِ الفراشة، ثم يتعجب البشر :

" لِمَ لا تتساوى محبتنا لجميع الرفاق؟ "

أيساوي القلب رفيقًا يحنو عليه ويتذكره في قلبه، بمن يمرّ عليه غافلًا عن
وجعه وفرحه؟

لعمرى لا يُساوي القلب أبدًا، بل يبقى أبد الدهر ممتنًا لمن برهن على حبه
بالرعاية والحنو.

اللهم ارحمنا، واجعل طُرُقنا تتقاطع مع من غمرت قلوبهم رحمتك، وصدق
حبهم لنا.

إلى حبيبتى الأولى

تلمعين في وسط قلبي كما يلمع القمر في وسط السماء، حتى وإن غبتِ عن ناظري،
يبقى اسمكِ محاقًا. ومهما كُتِرُ الأحبة، ستبقين حبيبتى الأولى، ستبقين قمري، وهم
ليسوا سوى نجومٍ مبعثرةٍ من حولكِ.

رسالة إلى ماء صحرائي

لكِ يا غالية الروح، يا عزيزة النفس، لكِ يا أمي الثانية، ويا أعلى من نفسي على قلبي، أهديكِ هذه الكلماتِ المرتجفة والحائرة الموقنة، بأنها لن تفيكِ حقكِ مهما كثُرت ومهما اجمَلت.

جميلة الوجه، لامعة العينين، تنظرين لها فتُطلق سهم الحب من قوس بسمتها؛ فتصيب قلبك، وتُجبرك على حبها مهما كنت ذا قلبٍ قاسٍ. أنبتت في صحراء قلبي أزهارًا لا كالأزهار الأخرى. لم أحتضنها، ولكنني على يقينٍ بأن حضنها دافئ كدفء الشمس في وقت الظهيرة.

نعم، أقصدكِ أنتِ. لو تعلمين كم أحبكِ وأخجل من رؤياكِ، كم أتمنى لو أحتضنكِ، كم أتمنى أن أكلمكِ طوال الوقت، أن أقول لكِ ما أشعر به حين أغمض عيني متذكرةً بسمتكِ في آخر مرةٍ رأيتكِ فيها. أه يا ماء صحرائي؛ لو تسمعين كيف أحدث الناس عنكِ... لتمنيت أن تكوني بالقرب مني كي تعلمي؛ فتحبي نفسكِ أكثر فأكثر.

صاحبة القلب الرقيق

عزيرتي صاحبة القلب الرقيق، لم أركِ بعد، لكنني أرسـم بسمتك في مخيلتي، وأنسج جمال عينيك في أحلامي. أرى طيفك المحتال من سوح خيالي، يرنو إليّ باسمًا. هل تعلمين أنكِ سكنتِ قلبي بالطريقة نفسها التي سكنتِ بها الماء صحرائي؟ لقد أطلقتِ سهم الحب على قلبي من قوس كلماتك الرهيفة، وبقوس صوتك الحنون أطلقتِ سهمك، فأصبتِ عقلي، فملأته إخلاصًا وودادًا ومحبة.

أتمنى لك

أتمنى أن تصلك رسالة انتظرتها طويلاً، وأن تسمع صوت جرس الباب يعلن مجيء شخصٍ طال غيابهُ، وأتمنى ألا ينكسر حلمك مهما استصعبه الآخرون.

نتعافى بالحب

ليس بوسع أحدٍ أن يملأ مكان أحد، فالأماكن في القلوب كبصمات الأصابع، لا تتطابق أبدًا مع غيرها.

فالإنسان يتعافى بأحبّته، يتعافى بالضحكات التي لا تتوقف حتى تدمع، وبالحكايات التي لا تنتهي، وبالدفء المحيط بهم، حتى في أكثر الليالي برودة.

يتعافى بالأيدي التي تُمسك به إذا وقع، وبالروح التي تحتضنه عند الحاجة. صدقًا، نحن نتعافى بالحب، ونتعافى بالوفاء، ونتعافى أكثر بقرب من نحبّ.

ذهب

ذهب ولن تعودى؁ ولم تتركى لى سوى الصور والذكرىاء الجمىلة. فى كل لىلة
أجلس أحدثها وأحادث صورك؛ تارة أراك تبسمن؁ وتارة تبكىن؁ وتارة أخرى أراك
تكلمىنى. عذبتنى برحىلك؁ رحمك الله وأسكنك فسىح جناته العلىا. شكرًا لك على هذه
الصور؛ فهى تخفف ألمى.

قد ينقذني لطفك

قد أكون تغيرتُ، ولم تُعد تُلهمني الحياة الاجتماعية، ولا التجوّل في مختلف العقول. لم أَعُد لطيفة كفاية، كما أنني لستُ مؤذية بتاتاً، لكنني فقدتُ وسائلتي في اقتحام قلوب الآخرين بعد أن بهُتت ابتسامتي الدائمة والعفوية. لم أستطع الاقتراب أكثر من دونها، لكن ما زال يغلبني اللطف ويساعدني في استعادة ذاتي القديمة التي أحبّها. فلا تتوقّف عن كونك لطيفاً معي...

مَن يدري؟ قد يُنقذني لطفك.

الباب الرابع

باب الآلام

دمعتي

اتصلت بي ودموعها تملأ وجنتيها كالمطر الغزير، تشكو لي عجز عائلتها عن تأمين أفساط جامعتها، مما يعني أنها لن تكمل دراستها، ظناً منها أنها لن تستطيع إكمال طريقها في تحقيق حلمها.

لم أعلم كيف أعيد لها ضحكتها، ولم أرد أن أقول لها اهدي؛ فأنا أكثر شخص يمكن أن يشعر بها. كادت دموعي تتساقط وأنا أسمع قصتي تُروى على مسامعي بطريقة سردٍ أخرى تُوصل إلى النهاية نفسها، فبدأت أروي لها قصتي وكيف وصلت، أسرةً دمعتي :

" اسمعي مني ماذا سأقول؛ لم أفصح لأحدٍ من قبل عن تفاصيل قصتي وكيف وصلت. كنت أقول دائماً لمن يسألني كيف وصلت؟ إنني لم أستسلم يوماً، وأن أمني بالله ومقدرته كان — ولا يزال — كبيراً. لم أقل لهم لماذا لم أستسلم؟ ولا بماذا مررت؟ ولا عن الصعاب التي واجهتني وجعلتني أنهار مراتٍ عدّة، ثم أعود لأجمع حطام قلبي حتى أكملريقي.

تعلمين حلمي الكبير الذي أحلم به منذ الصغر، بأن أصبح كاتبة، وقد حققته بفضل الله. تعلمين معاناتي الصحية، وكم من أمورٍ لم أصل إليها بسببها.

كم من كلمة سمعتها وعدت إلى البيت أدعو على نفسي بالموت! كم من

فشل وصلت إليه بسبب أمر لم يكن بيدي! لكنني الآن أقول :

لم يكن فشلاً، بل كان السبب الأكبر في تحقيق حلمي.

في الصف السابع، قدّمت امتحاناً في دائرة الأوقاف مع أمي وأختي.

الامتحان الأول قدّمته بنجاح، وحن دوري. ما إن دخلت قاعة الامتحان

وبدأت القراءة حتى تسارعت نبضات قلبي وازددت توترًا، ولم يعطوني فرصة

أخرى بعدما أصبت بنوبةٍ سرعية؛ مراعاةً لحالتي الصحية. نجحت كل من

كانت معي في الحلقة دوني، وكان ذلك اليوم من أصعب أيام حياتي. بدأتُ

أقنع نفسي أن هذا المرض نعمة عظيمة من الله عليّ، فأنا الوحيدة من بين

جميع زميلاتي التي اختصّها الله بها.

عدتُ إلى المنزل أندب حظي :

لماذا أنا من بين الجميع؟ وعدتُ من نقطة الصفر.

عامًا تلو الآخر يمضي، وزميلاتي في المدرسة يناديني بكنية مرضي. كنّ

يعتقدن أنني أتحمل هذا الكلام وأتخذه مزاحًا، فقد كنت أحبس دمعتي وأظهر

بسمتي. لا أحد يعلم ما بي؛ فقد أصبحت انعزالية لا أحبّ الاختلاط بالناس.

ستقولين : ما شأن هذا بمشكلكتي؟ لكن انتظري لأنهي كلامي، فهناك الكثير مما يجب أن تسمعيه، عزيزتي.

أكملتُ أعوامي حتى وصلتُ إلى عام الثانوية العامة، وأنا أفزغ حزني على الورق، عازمةً أن أجمعه عندما أكبر محققةً حلمي. هذه الكلمات التي كنت أكتبها في لحظات الحزن ستكون سببًا في وصولي. أفنعت نفسي أنني أستطيع تحديّ مرضي، وأني سأنجح في هذه المرحلة التي ستحدد مصيري في المستقبل.

كثير من الزميلات كنّ يقلن لي :

لمَ تتعبين نفسك؟ لن تتجحي وأنتِ على هذه الحال، يا (ويذكرن الاسم الذي يناديني به). كنت أدخل المنزل مكتئبة، أحاول الدراسة متناسيةً كلامهن، لكن بلا فائدة؛ فما من ألمٍ يُنسى بهذه السرعة. ومعهن حق... ماذا لو سيطر عليّ مرضي الخائن في أحد الاختبارات؟ ماذا لو لم يعطوني فرصة أخرى كما حدث سابقًا؟ وماذا لو تكرر الموقف في جميع المواد؟

وبالفعل، في كل امتحانٍ كانت تأتيني نوبةٌ سرعية، وتتطلق سيارة الإسعاف إلى المشفى. وفي إحدى المرات، نمت هناك ليلتين، وكان لدي امتحان بعدها مباشرةً، ولم أدرس له. كيف سأقدمه؟ وهل يمكن أن أنجح؟

نوبة أخرى أبقتني يوماً كاملاً على سرير العناية المكثفة. كلما أفقت، تأتيني نوبة أخرى، حتى قمت و صليتُ لربي ركعتين أدعوه أن يسهّل أمري. كنت أريد الخمسين فقط، لا أكثر. قدمته في المشفى ودمعتي تأبى الهبوط لتريحني، فقد كنت ذات القلب القوي في أعين الجميع، ولستُ أنا التي تبكي، وكأنني بلا مشاعر يظنونني.

في يوم إعلان النتائج، بدأت رجفة في يدي وتسارعت ضربات قلبي. لم أكن أريد سوى الخمسين، فحصلت على تسع وستين، وكانت تلك صدمة عمري! كنت أظن أنني سأرسب، ونجحت بمعدلٍ يعني الكثير لظروفي التي مررت بها.

استصعبت عائلتي في البداية تسجيلي في الجامعة بالتخصص الذي أريده ويعينني على تحقيق حلمي، لأن التخصص الذي أرغب به موجود في جامعة، وأخواتي في جامعة أخرى، وإن التحقتُ به فلن أحصل على خصم الأُخوة. فأجبرت على تخصصٍ لم أكن أرغبه، لكنني بعد الدراسة والممارسة أحببته وتعلقت به. إلا أن حالتي الصحية عادت تعبت بي مرة أخرى.

طُردتُ من الجامعة و بقيت في المنزل. لم أدرس تخصصاً أحببته، ولا تخصصاً أريده، فبدأت مشاريع في المنزل ألهي بها نفسي، متناسية أمر

الجامعة. مشروعًا تلو الآخر، وفشلًا بعد فشل، ولم أستسلم بعد، بل عدت
أكتب أكثر من السابق، وأقرأ الكتب والروايات والقصص وما إلى ذلك.

مألت وقت فراغي بما يمكن أن يساعدني على تحقيق حلمي. ليس
بالضرورة أن تدرسي كي تحققي حلمك، بل عليك أن تسعي وتجتهد؛ فلا بد
للنهايات المشرقة من بداياتٍ محرقة، فتفاءلي، واعلمي أنكِ متى تعبتي من
الطريق أرسل الله إلى قلبك ما يثبتته، ووضع في طريقك ما يرفعك، فأحسني
فهم الرسالة.

وانظري إليّ : لو أنني أكملت دراستي، لما قرأت، ولو لم أقرأ، لما كتبت،
ولو لم أكتب، لما نجحت. يضع الله في طريقنا عشراتِ ليوصلنا إلى طريق
النجاح بطريقة أسرع "

الكلمة

من قال إنّ الكلمات لا تفعل شيئاً ؟

الكلمة إن لمستك، احتضنتك، وإن جرحتك، أغرقتك في بحر الألم.

بكلمةٍ نهدم حلماً، وبكلمةٍ نداوي جرحاً، وبكلمةٍ نخسر شخصاً، وبكلمةٍ نكسب قلباً.

فتذكّر قبل أن تتطوق كلماتك، أنها بصمة في القلوب لا تتغيّر.

الكلمة الطيبة رزق، تجبر قلباً وتبني حياة.

ما هو الحب؟

لو سألتني عن الحب، لحدّثتك كيف يُحوّل شخص واحد فقط،

باتصالٍ واحد، برسالةٍ واحدة، وبكلمةٍ واحدة، حياةً شخصٍ آخر من العدم إلى

الوجود، ومن التعب إلى العافية.

كيف يُعيد له رئتيه، وملامحه، وضحكته، وشعوره بالرغبة في الحياة أكثر... الحبّ

شيء أقرب إلى الروح.

فرحة تغمر قلبي

توتر وخوف أصاباني في هذا الوقت المتأخر من الليل. اقتربت من حلمي ولم يبقَ سوى القليل. أمل ألا ينقطع حبل أفكاري. هيا، ازدادي أيتها الكلمات، وتكاثري يا مشاعري أريد المزيد من الخواطر والأفكار. "بإذنك ربي" سأصل إلى حلمي ولن أستسلم.

سأجعلهم يقولون :

"إنها التي وثقنا بها، فلم تخن ثقتنا يوماً. ها هي ذي قد وصلت وحققت حلمها "

ما زلتُ طفلة...

لا تزال تحتويني عادات الطفولة؛ ما زلتُ أخجل كثيراً عندما أتكلم مع شخصٍ لا أعرفه، وأتعلق بمن أحبهم، وأخشى فراقهم كثيراً. أكره الانتظار، وأكره أن يوجعني أحدهم بكلامه، أو أن يظلمني أحدهم فتبدأ مشاعري بالتألم. أغار على أيّ شيءٍ أحبّه حدَّ البكاء.

هجرتي

من مكانٍ إلى مكانٍ يهاجر الناس، لكن هجرتي أنا كانت من عالم التشويش والتفكير والألم... إلى عالم الأحرف والحركات والورق، إلى عالم المشاعر والأحاسيس والتأثر بالكلمات ذات النغم، عالم التحلّي بالخيال والتبسم أثناء الكتابة، والبعد عن الأرق.

هكذا يمكنني الاطمئنان بأنّي لن أؤذي أحدًا؛ فقلبي دائمًا يقول لي :

" ألميني ولا تؤلمي أحدًا، لا تعلمين إن آلمتِ أحدًا يومًا ما، أكانت أبواب السماء مفتوحةً، فدعا عليكِ واستجيب دعاؤه "

وإنها لنعمةٌ من الله أن تتسيّ مع مرور الوقت إيلامي، فسيري في الحياة وامي إلى طريق البشاشة، واصفحي عمّن ظلمك وجرحك وأذاك؛ فإن لم تسامحي في الدنيا، فكيف ستقفين يوم القيامة تطلبين السماح ممّن سواك؟

لذا، هاجرتُ من العالم المليء بالشخصيات المحبّة للصراع والإيلام، إلى عالمي الخيالي الخاص المليء بالشخصيات المتحابّة؛ شخصياتٍ لا تُحب أن تجرح بعضها بعضًا، وإن تمّ الجرح، يعتذر الجرح من المجروح.

شكرًا لك يا قلبي على هذه النصائح التي أعطيتني إياها؛ فلولاها ما دخلتُ
هذا العالم الجميل، صاحب الكلمات الرائعة، والشخصيات الساحرة، والأماكن
الأخاذة.

أحبهم

ذهب الذين أحبّهم، فعليك يا دنيا السلام.
أحبّ أحبّ أبي أشقى؟! لا والذي خلق الأنام.
عيناى بعد فراقهم ما ذاقنا طعم المنام.
ألم وهمّ دائم، من بعدهم نار ضرام.
فيا ربّ، اجمع شملنا، وداو جراحات عظام.
وأجب دعاء معذب، يدعوك في جُح الظلام.

أحب ما في الحب

أن يقولَ لك أحدهم " نكرتُك في دعائي " كأنه يقول حَضَنْتُ قلبك المُضطرب بين
ذراعِي حتّى استكان ولان، ثمّ أَلصقتُ به جناحين حتّى حَلَقَ عالِيًا نحو السَّماءِ بَعِيدًا
عن كُلِّ ما يؤذيه هُنا أو يورِّقُه، أن يذكر بَعْضكم بَعْضًا عند الله، أَحَبُّ ما في الحب
وألطفه.

يا له من أمرٍ صعب

- أتعلم ما هو أصعب شيء؟

= ما هو؟

- أن تكتب شيئاً لأحدهم وتخجل من إرساله.

= وماذا كنت تفعل حين تكتب ولا ترسل؟

- كنت أكتب في مجموعة أعلم أنه متواجد فيها، فيقرأها ويبتسم، وهو لا

يعلم بأنها له.

ابتسمي

في يومٍ من الأيام، نظرت إليّ بلهفةٍ وقالت :

" ابتسمي، فإنني أرى النور يخرج من ابتسامتك "

فصرتُ كلَّ يومٍ أبتسم، لكنني لا أرى نورًا. فهل كانت تمازحني؟

حتى أتى عليّ يوم، ورأتني عابسة، فقالت لي :

" ألا تريدان أن تُنيري طريقي؟ "

أنّي لي ألا أنيره إن كان هذا بيدي؟

أنتني مبتسمةً، وقد رأيتُ النور يخرج من ابتسامتها.

فقلتُ لها :

" إذا ابتسمي "

فقالت :

" لقد رأيتُ النور يخرج من ابتسامتك، فأنا دربي، ووجدتُ في آخر الدرب أنني

أعانقك "

ملجأكم

ليست كل الأبواب تُطرق بحثًا عن الحب؛ فبعضها سيُغلقُ بابه في وجهك، وبعضها سيُعتبرك ضيفًا أو ضيفًا ثقيلًا، ولكن هناك مَنْ سيفتح بابه قبل أن تطرقه؛ فهؤلاء لا يُضيِّقونك، بل يُؤوونك ويكرمونك. أولئك فقط هم ملجؤك، وهم مَنْ يستحقون حبَّك.

بها قوتي

لدينا جميعًا، بلا استثناء، أشياء صغيرة مختلفة تُشكّل هويتنا وتَجعلنا نحن دون
غيرنا، ربما رهافةً القلب أو رقة الإحساس، وربما ضمير حيّ، أو روح تفيض
بالرحمة، أو عيان ممتلئان بالحنان، ويد مطمئنة. قد يعتبرها البعض نقاط ضعفٍ
فيها، لكننا لسنا بحاجةٍ إلى تغييرها؛ بل يمكننا أن نختار بعنايةٍ من نُشاركهم إياها.

جبر الخواطر

وإذا رأيت أحدهم منطفئاً، فحدِّثه كثيراً عن مزاياه، حدِّثه حتى يعود ويضيء؛ فجبرُ

الخواطر عبادة.

أتمنى أن تُقدّر

أتمنى أن تُقدّر محاولاتي لإسعادك، وأن تستوعبَ معنى أن أتحدث معك وأنا في أمسِّ الحاجة إلى الصمت.

أتمنى أن تُقدّر أنني أطمئنك بينما الخوف يأكل قلبي، وأن تفهمَ معنى أن أسندك وأدعمك بينما أنا في أمسِّ الحاجة إلى من يُرَبِّت على كتفي ويطمئنني.

أتمنى أن تفهم أن بقائي بجوارك يكون رغماً عن عُزَلتي ورغبتني القوية في عدم مغادرة سريري.

أتمنى أن تُقدّر المحاولات والتضحيات البسيطة التي أقدمها لك، وأن تُدرك أنني أتشبث وأسعى للحفاظ على علاقتنا بينما أنا مُنهكة ومتعبة تماماً من الحياة وتفاصيلها القاسية.

أتمنى أن تُقدّر ما أقدمه لك، فأكثر ما يؤلمني أن يحدث خلافٌ بسيط بيننا، فتُتكرّر كل ما قدّمته لك.

أحلام قد تتحقق

من أحلامي أن أجمع بمن أحب، وأعانق من أهوى. يقولون إنَّ الهوى يَهوي، لكنني رغم الهوى أهوى. ومن أحلامي أن أنجح، وقد نجح من أفلح، وليس الفلاحُ لمن كان أجملَ أو أقبح؛ بل الفلاحُ لمن لم يرضخ للشيطان.

ما أدراك!

لكل منا نظرتة الخاصة اتجاه الناس وتصديق قلوبهم لهم. فقد تُقابل شخصًا دون أن تسمع عنه شيئًا، فتحب ما رأيته منه مباشرةً دون اللجوء إلى السؤال عنه، كأملك مثلاً؛ فقد وُلدت على حبها وتعلقت بها منذ صغرك، وهناك أناس يدخلون قلوبنا دون أن نُقابلهم، فقط بسماعنا عنهم من عدة أشخاص يروون طيباتهم وأخلاقهم الفاضلة وصدق كلامهم وتعاملهم الحسن مع الآخرين، مثل نبينا محمدٍ ﷺ؛ بأبي هو وأمي، إني قد صدقته وأحببته حبًّا لا أستطيع وصفه، وفي كل مرة أقرأ عنه يزداد حبي له وتعلقي به أكثر فأكثر.

" آه لو أراك يا حبيب قلبي "

كما أن هناك بعضًا من البشر نراهم ونسمع عنهم، لكن ما نسمعه عنهم يكون عكس ما نراه. وتكثر هذه الفئة غالبًا في أصحاب الابتلاءات؛ فتسمع عن فلان بن فلان أنه سيئ الطباع، انعزالي، لا يُحبه أحد، وينفر منه الجميع، وما إن تقابله حتى تدرك أنه رقيق القلب، حسنُ اللفظ والأخلاق، وليس انعزاليًا، بل انتقائيًا، فيدخل قلبك كالسهم.

فلا تحكم على أحدٍ بالحُسن دون أن تقابله، حتى لا تقع في جُحر أحدٍ، وما أدراك... لعله ينتظر وقوعك في جحره حتى يلدغك، ولا تحكم على أحدٍ بالسوء دون أن تقابله، إن بعض الظنِّ إثم، وما أدراك... لعلَّه انتقائي سينتشك من بين الناس ليدخل قلبك الطيب.

ميلادي

تاريخ الميلاد، في هويّتي مكذوب، لم أُولد إلا بعد أن عرفتُك. لم أعتقد يومًا أن تكون في هذا القبح؛ طفلتان جميلتان، وفي نهاية المطاف، أنت من يكشف للغريب السرّ الذي أخفيناه حتى عن عائلتنا!

في الثاني عشر من أيّار لعام ألفين وثلاثة عشر للميلاد، وُلدت طفلتنا الأولى، وكانت أكبر فرحة لنا. وفي الثالث والعشرين من كانون الأوّل لعام ألفين وأربعة عشر علمنا أنّ ما في بطني فتاة. حزن قليلاً؛ فقد كان ينتظر فتىّ يحمل اسمه ويدور في الأرجاء، لكنه قال بكل فخر واعتزاز: هذا قدر الله وما أجمل، سيأتي طفلي في المرّة الثالثة بإذنه تعالى.

مرّت ثلاث سنوات، وفي يوم ولادتي لطفلي الذي كان سعيدًا به . هو الذكر الذي سيحمل اسمه، هو الذي كان ينتظره منذ مدة . خيّر باثنين: إمّا زوجتك ويموت الجنين، أو ننقذ الجنين وتتخلّى عن زوجتك. صرخ بصوتٍ عالٍ: "يا ربّي، إنه اختبارٌ صعب"، واختارني أنا كي أعيش فأحمل مرّةً أخرى ويأتي غير جنين.

في الخامس والعشرين من شهر كانون الأول لعام ألفين وثمانية عشر، وقعت أرضاً دون أيّ سابق إنذار. نُقلتُ إلى المشفى وأدخلوني قسم العناية المكثفة. قال لي الطبيب إنني بعد يومٍ واحد يجب أن أدخل قسم العمليات لإزالة الرحم بشكلٍ مستعجل؛ فأنتِ مصابة بسرطان الرحم، وعلينا معالجة ذلك بأسرع ما يمكن، وإلا انتشر في جسمك ووقتها لن نستطيع إنقاذ حياتك. لم أجب بأي كلمة، منتظرةً زوجي الذي يحبني وفضّل أن أبقى معه على أن يتواجد معه حلم حياته... الفتى الذي سيحمل اسمه. واتفقنا على أن يبقى هذا الأمر سرّاً بيننا، ولا يعلم به أيّ أحد، وإن سأله أحدٌ عن ابنه يقول إنه اكتفى بهاتين الفتاتين اللتين أعطاه إياهما ربّه.

إنه اليوم الثالث من شهر كانون الثاني للعام التالي. دخلتُ إلى غرفة الضيوف حاملةً الضيافة لصديقه، وفوجئتُ هناك بما قاله :

"ها قد أتت التي منعتني من حلمي"

أبديتُ ابتسامة صغيرة وخرجتُ بعدما قدّمت القهوة، متجهةً إلى غرفتي؛ ألقيتُ نفسي على سريري وانهلتُ بالبكاء. كيف تفصح عمّا أخفيناه عن

أهالينا لشخصٍ غريب؟

مرّت ثلاثة أشهر على هذا الحدث وولدتُ من جديد؛ في الرابع عشر من نيسان لعام ألفين وتسعة عشر، دخل المنزل ومعه فتاة يمساك يدها بحنيّة ولطافة.

ثم جاء نحوي مسرعًا وهمس في أذني :

" عاملها بلطفٍ يا فاقدة الرحم؛ هي التي ستحقّق لي حلمي وتأتيني بالصبي "

نعم، هذا هو تاريخ ميلادي : الرابع عشر من نيسان لعام ألفين وتسعة عشر، وليس الرابع عشر من أيلول لعام ألف وتسعمئة وسبع وتسعين. بدأت أعيش على أنّه لا أحد يجب أحدًا دون مصلحةٍ إلا ما ندر، ولا تتضح هذه الندرة في أحدٍ إلا عند الألم والصعوبة في الحياة.

هل تداوين قلبي باللقى كرمًا؟

" هل تُرانا نلتقي، أم أنها كانت اللقيا على أرض السراب؟ هكذا يسأل قلبي

كلما طالت الأيام من بعد الغياب "

(من قصيدة رامي محمد)

منذ اليوم الذي افترقنا فيه قبل ثلاثة عشر عامًا، وأنا أنتظر لقاءنا القادم. لا زلت

أذكر تفاصيل ذلك اليوم رغم صغر سني آنذاك؛ فقد دخلت قلبي بسرعة البرق. كنتُ

أظهر لك أنني أكرهك بالعصبية التي كنتُ أبدوها للجميع، لكنك في الحقيقة دخلتِ

قلبي بسرعة كبيرة حتى إنني كنتُ في كل يوم أسأل أمي :

" متى سيأتون مرة أخرى؟ "

سؤال صغير يا عزيزتي :

منذ غيابك قد تحطم قلبي، وما له دواء غير لقيالك...

فهل تداوين قلبي باللقى كرمًا؟

الخاتمة

لا تسألوننا إن كنا بخير، لأننا حتمًا سنخبركم دائمًا أننا على ما يُرام. بادروا بالحضن أولاً؛ ستشعرون بدموعنا وهي تتساقط على أكتافكم بغزارة. الحنية ضرورية في هذه الأيام القاسية الموجهة التي نعيشها، إذ يظل الإنسان في هذه الحياة مثل قلم الرصاص؛ تبريه العثرات ليكتب بخطٍ أجمل، وهكذا حتى يفنى، فلا يبقى له سوى جميل ما كتب.

عزيري القارئ...

خذ مني هذه النصيحة :

أحفظ الشخص الذي تكسوك كلماته بالأمان، وتشعرك بالعافية؛ ذلك الذي إن مالت عليك الدنيا لا يميل، وإن تنكّر العالم في وجهك تراه كما هو.

هو الذي يحنو عليك، ويزرع بداخلك الأمل لتحدي الصعاب، هو الذي إن يئست يوماً يبقى معك حتى تغدو بخير. ولا تنس أن تكون فخورًا بتلك الأيام التي لم تكن قابلة للتخطي، ولكنك تخطيتها رغمًا عن كل ما فيها من صعاب، تلك التي خرجت منها بجراحٍ ثقيلة، ولكنك لم تخبر عنها أحدًا.

كن فخورًا بنفسك.